مع أسماء الأعلام[1] العربية الإسلامية

للدكتور إبراهيم السامرائي

كنت قد كتبت في هذا الباب "كتاباً" أتيت فيه على "الأعلام" وتاريخها، وكيف تأثرت باللغات القديمة كما تأثرت بالملل والنحل. وقد عرضت لما نال "الأعلام" في مختلف البلاد الإسلامية من "خصوصيات" بسبب التاريخ الخاص، وما تفرضه "الإقليمية" من خصائص مميّزة.

وكأني شعرت أن الأمر ما زال معوزاً وأنه مفتقر إلى شيء آخر، وقد بدا لي وأنا أقرأ كتب الصحابة- رضوان الله عليهم- أن الأعلام العربية الجاهلية تحمل من آثار الوثنية والجاهلية ما تحمل، حتى إذا جاء الإسلام لم يبق شيء من تلك "الرسوم". ولنبدأ بكلمة "عَمْر" ودلالتها اللغوية، وكيف تحولت على "العلمية" ونعرض بادئ ذي بَدء لما ورد فيها في كتب اللغة.

ولنبدأ بكتاب "الاشتقاق" لابن دريد فنقرأ قوله:

و"عمرو"[2] مشتق من شيئين: إمّا من "العَمْر" وهو العُمْر بعينه، يقال: العَمْر والعُمْر، بالفتح والضمّ، ومنه قولهم: لعَمرك قسم بالعَمْر قال ابن أحمر:

---

(١) لم أرد بـ"الأعلام" المشاهير من أهل العلم، والمبرّزين في المعرفة، وغير هؤلاء ممّا ينصرف إليه الذهن عند سماع هذه الكلمة، ولكني أردت أن أعرض لطائفة من أعلام الناس رجالاً ونساءً، أي "أسمائهم" العربية الإسلامية التي عرفوا بها لأشير كذلك إلى طريقة إطلاق الاسم ودلالته وأبنيته.

(٢) ولا أكترث بهذه الواو التي رسمت في آخر "عمرو" العلم التي زعم النحاة أنها للفرق بينها وبين "عُمَر" في حالتي الرفع والجر، ومن ثم لم تُزَد في حالة النصب.

قال ابن قتيبة: ولم تزد إذا كان مضافاً لمضر، ولم تُزَد للعلم مصغراً أو معرّفاً بـ"أل" وقافية.

انظر "همع الهوامع" للسيوطي ٢/٢٣٨.

بانَ الشبابُ وأخلَفَ العَمْرُ وتغيَّر الإخوانُ والدهرُ

قال الأصمعي في تفسير هذا البيت: العَمْر والعُمْر واحد، وقال غيره من أهل العلم: أراد خلوف فمه للكبر، وتغيّر نكتهه. والعَمْر واحد عُمور الأسنان، وهو اللحم المطيف بأسناخها أي بأصولها[٣].

وكانت كلمة "عَمْر" من مواد القسم القديم فقد جاء في "التهذيب":

قال الله– عز وجلّ- في كتابه... "لعمرُك إنّهم في سكرتهم يعمهون" ٧٢ سورة الحجر. روى أبو الجوزاء عن ابن عباس في قوله تعالى: "لعمرك": يقول: "بحياتك". وأخبر المنذري عن أبي الهيثم أنه قال: النحويّون ينكرون هذا ويقولون: معنى "لعمرك" لَدينُك الذي تعمر، وأنشد:

أيّها المنكحُ الثريّا سُهَيلاً عمرَك الله كيفَ يلتقيانِ

قال: "عمرك الله" أي عبادتك الله.

والعَمْر والعُمْر واحد. وسُمِّي الرجل "عَمْراً" تفاؤلاً أن يبقى[٤]..

وجاء في "معجم مقاييس اللغة" لابن فارس:

.... "العَمْر" ضرب من النخل، وكان فلان يستاك بعَراجين العَمْر. وربّما قالوا: العُمْر. ومن هذا أيضاً "العَمْر" ما بدا من اللثة، وهي العمور، ومنه اشتق اسم "عَمْرو"[٥].

وذكر ابن سيده:

"العَمْر" و"العُمْر" الحياة؛ والجمع أعمار.

والعرب تقول في القسم: لعمري، ولعمرك يرفعونه بالابتداء.

---

(٣) الاشتقاق لابن دريد (القاهرة ١٩٧٩) ص١٣.

(٤) التهذيب للأزهري (الدار المصرية للتأليف والترجمة) ج٢ مادة (عمر).

(٥) معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس (ط عيسى البابي الحلبي) ج٤ مادة (عمر).

ثم عرض لوجوه الإعراب المختلفة وعاد إلى القول: "والعَمْر" ها هنا "الدين"، وأيّاً كان فإنه لا يستعمل في القسم إلا مفتوحاً. وفي التنزيل: "لعمرُك إنهم لفي سكرتهم يعمهون" لم يُقرأ إلا بالفتح، واستعمله أبو خراش فقال:

لَعَمْرُ أبي الطير المُربَّةِ غُدوةً على خالدٍ لقد وقعت على لحم

وقالوا:عمرَكَ الله أفعَلُ كذا، وإلّا فَعَلتَ كذا، وإلّا ما فعلت، على الزيادة.

وقد اقتصر نظر النحاة واللغويين في مادة "عمر" هذه على الآراء النحوية ودلالة الكلمة على معانيها المعروفة المشهورة ولم يتجاوزوها على شيء آخر، فها ابن سيده يعلق فيقول:

وهو من الأسماء الموضوعة موضع المصادر المنصوبة على إضمار الفعل المتروك إظهاره وأصله من "عمَّرتك الله تعميراً" فحذفت زيادتاه فجاء على الفعل. وأعمرك الله أن تفعل كذا، كأنك تحلّفه بالله، وتسأله بطول عمره، قال:

عمَّرتُكَ الله الجليل فإنني ألوي عليك لو أنّ لبّكَ يهتدي

وبعد أن تحدث عن مشتقّات كثيرة من هذه المادة، قال:

و"العَمْر" لحم من اللثة، سائل بين كلّ سنَّين، قال ابن أحمر:

بانَ الشبابُ وأخلَفَ العمر .....

والجميع عمور، وقيلَ: كل مستطيل بين سنّين "عَمْر". و"عمرو": اسم، والجمع أعمر وعمور(٦).

وفي "الصحاح":

عَمَرَ الرجل يعمَرُ وعُمْراً، على غير قياس، أي عاش زمناً طويلاً.

وهما وإن كانا مصدرين بمعنىً، إلا أنه استعمل في القسم أحدهما، وهو المفتوح(٧).

وجاء في "في أساس البلاغة":

---

(٦) المحكم لابن سيده، مادة (عمر).

(٧) الصحاح للجوهري، مادة (عمر).

استعمَرَ الله تعالى عباده في الأرض، أي طلب منهم العمارة فيها.

وتقول: ما الدنيا إلا "عُمَرى"، ولا خلود إلّا في الأخرى، من "أعمَرَه الدارَ" إذا قال له: هي لك عُمرَك، ثم هي لي، قال لبيد:

وما البِرُّ إلاّ مضمَراتٌ من التُّقَى وما المالُ إلّا مُعمَراتٌ ودائعُ

و"عمرَك الله": دعاء بالتعمير[٨].

وفي "المحيط" لابن عبّاد: أنّ "عمرو" اسم شيطان الفرزدق[٩].

وقد جمع ابن منظور في "اللسان" أشتات هذه المادة التي أشرنا إليها وجاء فيها من الزيادة:

و"العَمْر" لحم من اللثة سائل بين كل سنّين، وفي الحديث:

"أوصاني جبريل بالسواك حتى خشيت على عموري، والعمور منابت الأسنان، واللحم الذي بين مغرسها، الواحد "عَمْر" بالفتح، وقد يضم، وقال ابن أحمر:.. البيت.

والجمع "عُمور" .

و"العَمْر" ضرب من النخل، وقيل من التمر، والعمور نخل السكّر خاصة، وقيل: هو "العُمرُ " بضمّ العين والميم عن كراع، وقال مرّة : هي "العَمْر" بالفتح، واحدتها "عَمْرة" وهي طوال سُحْق.

وقال أبو حنيفة: "العَمْر" و "العُمْر" نخل السكّر، والضمّ أعلى اللغتين.

وحكى الأزهري عن الليث في تفسير "العَمْر": و"العَمْر" نخل السكَّر، يقال له: "العُمُر"، وهو معروف عند أهل البحرين، وأنشد الرياشي في صفة حائط نخل:

---

(٨) أساس البلاغة (للزمخشري) ١٤١/٢ (عمر).

(٩) المحيط في اللغة (للصاحب بن عباد) ١١١/٢. وفي اختيار الفرزدق هذا دلالة تاريخية هي أن عمراً كان له في الجاهلية شأن ومكان في رسومهم الوثنية كما سنرى.

اسودّ كالليل تدجَّى أخضرُه مُخالطٌ تَعضوضُه وعُمُرهْ[١٠]

أقول: لقد أحطنا بهذه المادة في كتب اللغة التي أجمعت كلها على دلالات واحدة، وكأنّ اللاحق من أصحاب هذه المصنفات قد احتوى ما أورده السابق، وصار كل منهم يعيد ما ذكره غيره. غير أني أريد أن أقف على قولهم: إن "عَمْر" المفتوحة العين هي الخاصة بالقسم ، وإن النحويين قد ذهبوا إلى أن المعنى فيها هو "الدين"، وكأنّ المقسَم به هو "العبادة".

ولا بد لنا قبل الذهاب في استقراء القسم بـ"عمرو" أن نعرض لمسائل نمهّد بها لشيء سنخلص إليه فنقول:

جاء في قوله تعالى: "والبيت المعمور" ٤ سورة الطور

قال المفسرون فيما قالوا: إنه بيت في السماء بإزاء الكعبة....

ومن هنا فالعمارة هي "عمارة" البيت، و"عمارة البيت" وإن دلّت على شيء أخص من "البناء" فهي لا تبعد عن هذا المعنى في الأصل، قال تعالى: "أجعلتُم سقايةَ الحاجّ وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخِر وجاهد في سبيل الله..." ١٩ سورة التوبة. ثم نجد في المصطلح الإسلامي "العُمرة" والعُمرة هي الاعتمار وهو معروف، وهي مقرونة بالحج في قوله تعالى: "وأتِمّوا الحجَّ والعُمرة لله" ١٩٦ سورة البقرة.

أقول: إذا كان هذا كله قد دعانا إلى أن نجد في هذه المادة الجليلة قبساً من الاحترام للمعمور فليس بعيداً أن تأتي مادة "عَمر" ويراد بها الدين والدعاء كما بينا. وليس اتفاقاً أن هذه المادة ويراد بها "التحية" لأن التحتية شيء من دعاء، قال الأعشى:

فلما أتانا بُعَيدَ الكرى سَجَدْنا له ورفعنا العَمارا[١١]

أي رفعنا أصواتنا بالدعاء وقلنا: عَمْرَك الله. ولا أرى وجهاً أن يُصرَف قوله "العَمارا" إلى الآس، ليكون ذلكَ كالتحية.

ونرجع إلى دلالة هذه المادة على البناء فنقول: إن "العُمرة " فيما تدل عليه أن "يبني الرجل بامرأته في أهلها. ودلالة البناء تشير إلى أن "عمر" ليس بعيداً عن "البيت أو المنزل ولعل هذا من المشترك السامي القديم، وذلك أن الذي نعرفه أن

---

(١٠) اللسان/ مادة (عمر).

(١١) اللسان (عمر).

"عُمر" في استعمال النصارى ينصرف إلى ما ينصرف إليه في العربية، ولكنه احتفظ بخصوصية هي الدلالة على "الدير". لقد عرفنا الأديرة أو الديارات في التراث النصراني وهي كثيرة، وقد أُلفت فيها كتب ومصنفات[١٢]، وكما كانت أديرة موسومة بأعيانها وأسمائها كدير متّى، ودير زكّي، ودير حَنّة ودير مار سرجيس، وأديرة أخرى كان لها حضور وافٍ في الأدب القديم، كذلك كانت أديرة أخرى عرفت بـ"عُمر" بالضم بمعنى الدير، ومنها: "دير عُمر الزعفران" بنصيبين الذي قال فيه مصعب الكاتب:

عُمِرت بقاع عُمر الزعفران بفتيانٍ غطارفةٍ هجانِ[١٣]

و"عمر أحويسا" وأحويشا السريانية تعني "الحبيس الراهب (Anchorite)، وهذا الدير بمدينة سعرت[١٤]. وكذلك "عمر مَريونان" بالأنبار، و"عُمر كَسْكَر" وهو أسفل من واسط[١٥].

ولنعد ثانية إلى القسم بـ"عَمر" وذهاب النحويين إلى أن المراد به هو "الدين" وذلك في قوله تعالى: "لعَمرُك إنّهم لفي سكرتهم يعمهون". وعلى هذا نحمل قول النابغة:

فلا لعَمْر الذي مَسَّحْتُ كعبته وما هُريقَ على الأنصاب من جَسَدِ[١٦]

وقول الأعشى:

ولَعَمْر من جعل الشهور علامةً فيها تبيَّن نقصُها وكمالُها[١٧]

وقال القحيف العقيلي:

---

(١٢) ومنها كتاب "الديارات" للشابشتي (طبع مرتين بتحقيق "كوركيس عواد").

(١٣) الديارات ص١٩١ (الطبعة الثانية).

(١٤) المصدر السابق ص ١٩٨.

(١٥) المصدر السابق ص٢٧٤.

(١٦) ديوان النابغة (بتحقيق شكري فيصل) ص٦٨.

(١٧) ديوان الأعشى (طبعة صادر).

لئن رضيت عليَّ بنو قشير لعمر الله أعجبَني رضاها[١٨]

وقال أبو خراش:

لعَمْرُ أبي الطيرِ المربَّةِ غدوةً على خالد لقد وقعتَ على لحمِ[١٩]

أقول: في جملة هذه الشواهد جاء المُقسَم به "عمر" وليس في أيٍّ منها ما يومئ على أن المراد به هو "للحياة" أو "العُمْر". ومن أجل ذلك ذهب النحاة في الآية التي سبقت إلى القول بالدين.

وهذه الشواهد الشعريّة وكذلك الآية، وما كنا قد جئنا به من دلالة "عمر" على البيت المعمور، أو على "الدير" لتثير في جملتها إلى أن سياق "عمر" سياق خاص، ولا يبعد أن يكون "عمر" هذا شيئاً قديماً لدى العرب الوثنيين يحمل ما يمكن أن يكون وثناً من أوثانهم، وللوصول إلى شيء من هذا نجد أن من أعلامهم الجاهلية "عبد عمرو"، وقد وقفنا على نفر من هؤلاء كلهم عرف بـ"عبد عمرو" ومن هؤلاء:

عبد عمرو بن كعب الأصم البكّائي

عبد عمرو بن مقرن.

عبد عمرو بن نضلة.

عبد عمرو بن جبل الكلبي.

عبد عمرو بن مفرّغ[٢٠]

وجاء في " الإصابة "[٢١] أيضاً: أن بكر بن جبلة بن وائل كان اسمه عبد عمرو فسماه النبي- ﷺ- بكراً. ذكره ابن الكلبي، وأخرج ابن مندة من طريق هشام ابن الكلبي قال: حدّثنا الحارث بن عمرو وغيره قال: قال عبد عمرو بن جبلة كان

---

(١٨) السيوطي، همع الهوامع ٢/٢٨.

(١٩) ديوان الهذليين، قسم٢، ص١٥٤.

(٢٠) انظر الإصابة لابن حجر ٦/ ٣٢٤، ٣٣٤، ٣٣٥، ٧/ ٢٥٧.

(٢١) الإصابة ٣/١٩٦.

لنا صنم يقال له: عَيرُ (كذا) وكانوا يعظّمونه، قال: فغبرنا عنده فسمعت صوتاً يقول: يا بكر بن جبلة تعرفون محمداً، فذكر الحديث وفيه قصة إسلامه، كذا أخرجه ابن مندة مختصراً، وقد أشار المرزباني إلى قصته وأنشد له شعراً ومنه[٢٢]:

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى فأصبحت بعد الجحد لله مؤمناً

أقول: لو لم يكن الاسم "عبد عمرو" مستنكراً في الإسلام، ولو لم يكن فيه شيء من آثار الوثنية لما كان من الرسول الكريم ما كان، فقد استبدل بـ"عبد عمرو" بكراً وعرف بهذا الاسم الجديد في الإسلام.

وأعود إلى ترجمة "بكر" هذا في نص "الإصابة" فأقول: ألا يجوز أن الصنم الذي أشير إليه هو "عمرو" وقد صحِّف إلى "عَيرُ"، ومثل هذا التصحيف مما لا يستبعد؟

والتسمية بـ"عبد" مضافاً إلى أصنامهم معروفة، ومن ذلك عبداللات، وعبد العُزّى، وعبد شمس، ومن هذا "عبد مناف" وهو أبو جماعة من قريش، و"مُناف" من أصنامهم، وهو كقولهم: عبد الكعبة وعبدَ مناة وعبد وَدّ[٢٣].

فإذا كان هذا فلِمَ لا نحمل عليه "عبد عمرو"؟

ليس في هذا تجاوز ولا إغراب ولا جور على المادة التاريخية. وأنت لا تستبعد هذا وتتذكر أن من أسلوب القسم عندهم "لعمر الله" فأين هذا من دلالة "عمر" على الحياة كما زعموا؟ لا شيء من ذلك، وربما أدرك النحاة فساد هذا التفسير فذهبوا في شرح الآية إلى قولهم في "لعمرك" : إنه بمعنى "لَدينُك" .

---

(٢٢) وهذا مما ضاع من كتاب "معجم الشعراء" وإشارة ابن حجر تدل على ذلك، وقد كان لي أن قمت بجمع هذا "الضائع" الذي وقفت عليه في "الإصابة" وغيرها من المصادر وسيظهر قريباً إن شاء الله تعالى.

(٢٣) وقد منع الإسلام بوحدانيته هذه العبودية الوثنية وأبقاها مقصورة على لفظ الجلالة وأسماء الله الأخرى فكان عبدالله، وعبدالرحمن وعبدالقاهر وغير ذلك.

وإذا كنا قد وجدنا في "بكر بن جبلة" مادة وصلنا بها إلى ما نريد، فمن المفيد أن أشير إلى ترجمتين أخريين لصاحبيَّين أولهما:

عبدالرحمن بن عبد، وقيل: ابن عبيد، وكان عاملاً على جند فلسطين.

وقال أبو أحمد الحاكم: غيّر النبيّ- ﷺ- اسمه وكنيته، كان اسمه "عبد العُزّى"، وكنيته "أبو مُغوي"، فقال النبي- ﷺ- بل أنت أبو راشد عبدالرحمن.

وثانيهما:

عبدالرحمن بن عبدالله بن ثعلبة بن بيجان، وكان اسمه عبد العُزّى، فغيّره النبي- ﷺ-[٢٤].

أقول: هذه خلاصة في دلالة "عمر" وتحولها إلى العلمية وما عرض لها في أساليب العربية كالقسم، ومما كان لها من دلالة في الجاهلية.

والله أسأل أن ينفع بعملي هذا، إنه نعم المولى ونعم النصير.

---

(٢٤) الإصابة ٦/٢٩٨، ٦/٢٩٥.